الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة 07: الرواية الرسائلية

الرواية الرسائلية:

تُعد الرواية الرسائلية من أكثر الأشكال السردية قدرةً على اختراق الحواجز التقليدية بين القارئ والنص؛ إذ تقوم بنيتها على وسيط يبدو في ظاهره بسيطاً وهو "الرسالة". غير أن هذا الوسيط في جوهره ليس مجرد أداة للنقل، بل استراتيجية جمالية معقدة تُعيد تشكيل مفاهيم السرد، والذات، والحقيقة. ومنذ نماذجها الكلاسيكية، ارتبطت الرواية الرسائلية بما يمكن تسميته "بإيهام الواقعية"؛ فالقارئ لا يتلقى حكاية يرويها راوٍ عليم، بل يطّلع على وثائق خاصة لم تُكتب له أصلاً، مما يمنحه شعوراً بالتلصص على حياة الآخرين.

هذا الإيهام يجعل النص يبدو أقرب إلى "الشهادة" منه إلى "الحكاية"، ويُخفي حضور المؤلف خلف أصوات الشخصيات. غير أن هذه المصداقية الظاهرية سرعان ما تتكشف بوصفها بناءً فنياً؛ فالرسالة، رغم طابعها الشخصي، تظل خطاباً موجهاً يُصاغ بعناية، ويخضع لانتقاء واعٍ لما يُقال وما يُحجب.

في هذا السياق، تبرز خاصية «تعدد الأصوات (Polyphony)» كركيزة أساسية في الرواية الرسائلية؛ إذ يتيح تقاطع رسائل الشخصيات تنوعاً في الرؤى بدلاً من تقديم صورة أحادية للحدث. وتعيد كل رسالة صياغة الواقع وفق وعي كاتبها، مما يخلق توتراً درامياً

نابعاً من المفارقة؛ فالقارئ يمتلك معرفة أوسع مما تملكه الشخصيات عن بعضها. وبذلك، لا تغدو الحقيقة معطىً ثابتاً، بل بناءً نسبياً يتشكل من صراع وجهات النظر، وهو ما يتسق مع المفهوم الباختيني للحوارية بوصفها تفاعلاً بين وعيين متباينين. بيد أن هذا التعدد قد لا يفضي بالضرورة إلى كشف الحقيقة، بل ربما يتخذ شكل التمويه؛ فالرسالة -باعتبارها خطاباً موجهاً للآخر- تنطوي على أبعاد تداولية تهدف إلى الإقناع أو التبرير أو التزييف.

وعليه، يمكن اعتبار الرواية الرسائلية «لعبة ثقة» تضع القارئ في موقع الحكم، الذي يتعين عليه الموازنة بين الروايات المتعددة لاستجلاء ما يتوارى خلف اللغة.

تمنح الرسالة على المستوى النفسي، مساحةً فريدةً للبوح الداخلي؛ فكتابتها في غياب المتلقي -كما يرى رولان بارت- هي ما يفجّر طاقة الاعتراف. فالشخصية هنا لا تتحدث بقدر ما تكتب ذاتها، ممارسةً مونولوجاً داخلياً يعيد بناء تجربتها عبر اللغة.

غير أن هذا الاعتراف ليس بريئاً تماماً، إذ تُعيد الكتابة صياغة الشعور، محولةً إياه من تجربة معيشة إلى خطابٍ مُهيكل، لتتأرجح الرسالة بذلك بين العفوية والصنعة، وبين الصدق والتخييل.

أما الزمن في الرواية الرسائلية، فلا يسير وفق خطٍ سردي متصل، بل يتشكل عبر الفجوات الزمنية بين الرسائل؛ وهي فجواتٌ لا تمثل فراغاً سلبياً، بل حيزاً تأويلياً يُشرك القارئ في بناء المعنى. فكل صمتٍ بين رسالتين يُخفي أحداثاً غير مروية، ويستدعي خيال القارئ لملئها، مما يجعل من القراءة فعلاً إبداعياً يوازي الكتابة.

بناء على ما تقدم، نجد أن الرواية الرسائلية لا تكتفي بتجاوز حضور الراوي العليم، بل تعيد توزيع سلطة السرد بين الشخصيات والقارئ؛ إذ يتحول الأخير من متلقٍ سلبي إلى «محقق» يعيد بناء الوقائع، و«متلصص» يسترق النظر إلى ما وراء السطور، و«متلقٍ ضمني» للخطاب. وهذا التفاعل هو ما يضفي على هذا القالب السردي تفرده واستمراريته.

ومع صعود الوسائط الرقمية، خضعت الرواية الرسائلية لتحولات جذرية، حيث حلت الرسائل الإلكترونية ومنشورات التواصل الاجتماعي محل المراسلات الورقية. ولم يقتصر هذا التغيير على الجانب التقني، بل امتد لجوهر الكتابة؛ فبعد أن كانت الرسالة التقليدية مساحة للبوح، أضحت الكتابة الرقمية أداءً اجتماعياً يُشكل الذات أمام جمهور متخيل، مما نقل الرواية الرسائلية من فضاء كشف الداخل إلى تمثيل الذات، ومن الصدق الحميمي إلى صناعة الصورة.

خلاصة القول إن الرواية الرسائلية ليست مجرد قالب شكلي، بل هي ممارسة سردية تُفكك مفهوم الحقيقة، وتُعيد صياغة العلاقة بين الكاتب والشخصية والقارئ. فهي نص يتأسس على التوتر بين الحضور والغياب، والاعتراف والتمويه، والواقع وبنائه اللغوي؛ وفي هذا التوتر تحديداً تكمن قوتها الجمالية وقدرتها المتجددة على البقاء.